المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

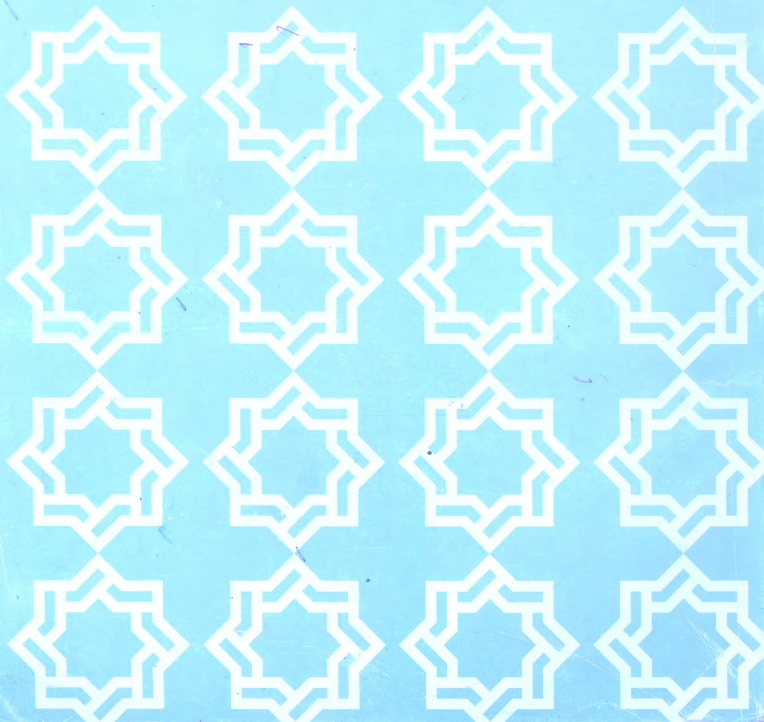

رسالة اللامات - لأبي جعفر النحاس

احمد خطاب التكريتي

قام الاستاذ طه محسن بتحقيق « رسالة في اللامات » ونشرها في العددين الاول والثاني من مجلة المورد الغراء ، على أنها لابي جعفر النحاس ، وقد احسن صنعا في ذلك ، اذ أراد أن يشارك في نشر تراث هذا العالم ، فجزاه الله عن العلم خير الجزاء . الا أن المتصدي لمثل هذه الرسائل والتي تنفرد بنسخة واحدة ضمن مجموعة ، ينبغي عليه أن يتريث ويتثبت من نسبتها . فقد استند الاستاذ المحقق في نسبة هذه الرسالة الى أسباب جعلته يعتقد اعتقاده ذاك ، الا اننا لانوافقه فيما ذهب اليه ، اذ انه ليس بالامكان الجزم أنها لابي جعفر احمد النحاس ، وسنقف في ذلك بين افتراضين : الاول أنها له ، بسبب وجود كنية « أبي جعفر » فيها ، وهو أهم الاسباب التي استند اليها الاستاذ الناشر(١) . والآخر أنها ليست له ، وهو ما نميل اليه لعدة اسباب سنتناولها في مناقشتنا هذه .

- جاء في أول الرسالة أنها لاسماعيل بن عبدالله النحاس ، وكذا جاء في خاتمتها اذ يقول : « تمت المقالة في اللامات بعون الله وبمنه من تأليف اسماعيل النحاس رحمه الله ، وقد أبدلهما المحقق بـ « أبي جعفر النحاس »(٢) وقال في ذلك : « أن « اسماعيل » المذكور في الرسالة هو جد النحاس ، ولا يوجد ممن عرفوا بهذا اللقب - على قلتهم - من ورد (اسماعيل) في سلسلة نسبه ، وعلى هذا فأكثر الظن أن الناسخ وهم حين خلط بين المؤلف وجده »(٣) . فوجود أحد آباء أبي جعفر النحاس لا يؤكد أن هذه الرسالة له لأن المتتبع لنسبه يجده أنه هو : احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي ولا وجود لاسم (عبدالله) في نسبه ، كما أنه لم ينفرد بوجود اسم (اسماعيل في نسبه) ممن عرفوا بهذا اللقب ، فهناك محمد بن أبي بكر بن اسماعيل بن النحاس(٤) . وقد فات على الاستاذ الناشر أيضا أن هناك شخصا يحمل الاسم نفسه والذي ثبت في أول الرسالة وخاتمتها وهو (اسماعيل بن عبدالله النحاس المقرىء والمتوفى سنة بضع وثمانين ومائتين(٥) فاسماعيل هذا وان اتصف بأنه من القراء ، الا أنه لا ينفي أن يكون كتب في النحو ، فعلماؤنا

(١) المورد ١٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ١٤٥ ، ١٥٠ .
(٣) المصدر نفسه ١٤٤ .
(٤) الاعلام ٦/٢٨٤ .
(٥) ترجمته في غاية النهاية ١/١٦٥ ، المشتبه ٦٣٣ .

- رحمهم الله ـ كانوا واسعي المعرفة ، يكتبون في كل فن من فنون العلوم الدينية والدراسات اللغـــوية ، فاذا أرادوا أن يعالجوا قضية من القضايا ، فانهم لا يفرقون بين ما هي دينيـــة وأخرى لغوية أو نحوية ، فعلى هذا فاننـــا نستطيـع أن نفترض ان اسماعيـل بن عبدالله النحاس هذا هو مؤلف هذه الرسالة ويؤيدنا ما أثبت في أول الرسالة وخاتمتها .

٢ ـ ومن الاسباب التي دفعت الناشر الى اعتقـــاده واطمئنانه الى أن الرسالة الى أبي جعفر النحاس أنه نقل قول ابن هشام في قوله تعالى : « فلولا أن كانت قرية آمنت .. » فسرها بقوله : أي فهلا كانت قرية ، وقال عنها : وهو تفسير الاخفش والكسائي والفـراء وعلي بن عيسى والنحاس »[٦] وقال : انه وجد الآية والتأويل ضمن الرسالة ، فدفعه ذلك ليقول : بنسبتهـــا لابي جعفر النحاس ، الا أن وجود آيـة في كتابين لا يدل دلالة قاطعـــة على أن الكتابين لشخص واحد ، ثم ان ابن هشام ـ وهـــو الاهم ـ أطلق عليها (لولا الاستفهام)[٧] ولم يسمهـــا (لا الاستفهام) كما جـاءت ضـمن الرسالة[٨] . والاستاذ المحقق لم يذكر تفسير ابن هشام لها كاملا فانه يقول عنها : « والظاهر أن المعنى على التوبيخ ، أى فهلا ... » ولـم نجد هذا التفسير في رسالة اللامات هذه .

٣ ـ ونقل ابن هشام في قوله تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهـــم » ، قال : ويسميها أكثرهـم لام الجحود لملازمتها الجحد أى النفي ، قـــال النحاس : والصواب تسميتها لام النفـي ، لأن الجحد في اللغة انكار ما لا تعرفه لا مطلـــق الانكار[٩] ، وليس هذا المعني في رسالـــة اللامات ، لا في معاني (لام الجحد) ولا في معاني (لام النفي) ، واللتـــان ذكـــرتا في الرسالة[١٠] .

٤ ـ ونقل ابن هشـام أيضا : أن معـــاني اللام (موافقة على) في الاستعلاء الحقيقي « ويخرون للاذقان » و « دعانا لجنبه » و « تله للجبين » ، والمجازي « وان أسأتم فلها » ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة : « اشترطي لهـــم الولاء » . وقال النحاس المعنى : (من أجلهم) قال ولا تعـــرف في العربيـــة (لهم) بمعنى (عليهم)[١١] وليس هذا التفصيل في هذه الرسالة على أهمية الرأي .

٥ ـ وعليه فالرسالة قد تكون لاسماعيل بن عبدالله النحـــاس للاسباب التي استعرضناها . أو أن نفترض فرضا آخر ـ على ضعفه ـ أن شخصا قام بتلخيص (رسالة اللامات) لابي جعفـــر النحاس ، فجاءت هذه الرسالة مقتضبة ، بعـد أن صحف اسم مؤلفها أيضا ـ وهو بعيـــد الاحتمال ـ .

---

(٦) المورد ١٤٤ .
(٧) مغني اللبيب ١/٢٧٥ (طبعـــة محيى الدين عبدالحميد) .
(٨) المورد ١٤٨ .
(٩) مغني اللبيب ١/٢١١ .
(١٠) المورد ١٤٥ ، ١٤٩ .
(١١) مغني اللبيب ١/٢١٢ .

٦ ـ وأخيراً فاننا نود أن ننبه الى أن الاستاذ قد فاتت عليه أمور ، نرجو أن نكمل ما فاته منها ـ في تقديمه للبحث ـ فقد نقل عن الاستاذ كوركيس عواد انه وجد للنحاس ستاً وعشرين كتاباً ، بينما عثرنا على أكثر من ذلك بكثير ، يستطيع القارىء أن يرجع الى تحقيقنا لكتاب « شرح القصائد التسع المشهورات » للنحاس ، والذي حصلنا بتحقيقه على درجة الماجستير بتقدير امتياز[١٢] وذكر أيضا أن ما نشر من هذه القصائد قصيدة زهير فقط[١٣] ونود أن نضيف أن بروكلمان نفسه ذكر أن رايسكة نشر قصيدة طرفة في ليدن سنة ١٧٤٢[١٤] وأن قصيدة امرىء القيس نشرها آرنست فرانكل في برلين سنة ١٨٧٦[١٥] .

والله من وراء القصد .

---

(١٢) نوقشت الرسالة بتاريخ ١٩٧١/١٢/٢ .

(١٣) المورد ١٤٤ .

(١٤) بروكلمان ١/٧٢ .

(١٥) مقدمة ديوان امرىء القيس ص ٩ .